

قضايا و آراء

الأثنين 14 من محرم 1424 هـ 17 مارس 2003 السنة 127-العدد 42470

من أسرار القرآن

الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزي دلالتها العلمية (87) ومن النخل من طلعتها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلي ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون*

* الأنعام:99*

بقلم الدكتور: زغلول النجار



النص القرآني المعجز جاء في بداية الثلث الأخير من سورة الأنعام, وهي سورة مكية, ومن طوال سور القرآن الكريم إذ يبلغ عدد آياتها(165) بعد البسملة, وقد سميت بهذا الاسم لتكرار الإشارة فيها إلي الأنعام, ومن خصائص هذه الصورة المباركة أنها نزلت دفعة واحدة. ويدور المحور الرئيسي للسورة حول عدد من العقائد والتشريعات الإسلامية, وقصص عدد من الأنبياء والمرسلين الذين بعثهم الله تعالى من قبل بعثته خاتمهم - صلي الله عليه وسلم - وبارك عليه وعليهم أجمعين.

وقد استهلكت السورة الكريمة بقول الحق تبارك وتعالى

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون(الأنعام -1)
وهي حقيقة أريد بها دفع كل الأباطيل التي روجها الكافرون عبر التاريخ - ولايزالون - في محاولة يائسة لنفي الخلق, والتنكر للخالق سبحانه وتعالى: واستهلال سورة الأنعام بهذه الحقيقة الكونية الثابتة دليل علي أهميتها في استقامة العقيدة, ولذا تكرر التأكيد عليها في ثنايا القرآن الكريم لمرات عديدة.

ويلي الإخبار بهذه الحقيقة أمر آخر خطير تقرره الآيات بقول الحق تبارك وتعالى:... هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تموتون(الأنعام:2).

وفي ذلك تسجيل لثاني أكبر الحقائق الكونية, وهي خلق الإنسان من طين, وتحديد اللحظة التي يغادر فيها كل مخلوق هذه الحياة الدنيا, وتأكيد حتمية

الآخرة، التي لا يعلم وقتها إلا الله تعالى. وفي ذلك من التأكيد علي حقيقة الألوهية، والربوبية، والوحدانية للخالق العظيم ما جازمت به الآية الثالثة من هذه السورة المباركة التي يقول فيها ربنا تبارك وتعالى:

وهو الله في السماوات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ماتكسبون (الأنعام:3).

ثم تسرد الآيات بعد ذلك إعراض الكافرين من قريش - وإلي يومنا الراهن - عن آيات الله، وتكذيبهم بالحق لما جاءهم، وتهديد الله تعالى لهم من عواقب ذلك، وتذكيرهم بأمر من قبلهم، مكن الله لهم في الأرض ثم أهلكهم بذنوبهم، وهو تحذير لهم ولغيرهم من الأمم والأفراد إلي قيام الساعة، وتأكيد أن التمكين في الأرض، وبسط الرزق فيها ليسا - بالضرورة - دليل رضي من الله سبحانه وتعالى، بل قد يكون ذلك من باب الابتلاء لكشف معادن الناس وإظهار حقيقة نفوسهم.

وتعرض الآيات لحوار بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش يكشف موقف المراوغة والتكذيب والعنت من الكفار والمشركين وثبات الإيمان الراسخ علي اليقين الذي يثبت به الله سبحانه وتعالى خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم، وذلك بقول الحق تبارك وتعالى:
قل أغبر الله أتخذ وليا فاطر السماوات والأرض وهو يطعم ولا يطعم قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين* قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم* من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين
(الأنعام: 14- 16).

وقوله عز من قائل:

قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى إلي هذا القرآن لأذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإني بريء مما تشركون
(الأنعام:19).

ويستمر الإخبار في سورة الأنعام بأحداث وقعت في غيب الماضي البعيد تأكيدا علي صدق هذا الكتاب العزيز، وعلي صدق الرسول الخاتم الذي تلقاه صلى الله عليه وسلم وبارك عليه وعلي آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلي يوم الدين. ومن ضمن ذلك جاء الحديث عن ثمانية عشر من أنبياء الله ورسله علي نبينا وعليهم جميعا من الله السلام، وفي ذلك تأكيد علي أخوة الأنبياء، وعلي وحدة رسالة السماء، وعلي حاجة الإنسان دوما إلي الدين الصحيح القائم علي التوحيد الخالص لله بغير شريك ولا شبيه ولا منازع ولا صاحبة ولا ولد، وإلي نماذج ممن تربوا علي هذه الهداية الربانية الخالصة للإسلام يقتدي بهم وسط فتن هذه الدنيا وصعوباتها لأن الشرك بالله هو حقا ظلم كبير، يهدد سلامة الفرد والمجتمع والبشرية كلها.

ومن هنا كانت ضرورة كشف زيف الشرك بالله بالحجة المنطقية والبرهان السديد الرشيد، وضرورة عرض ذلك من خلال القرآن وهو الوحي السماوي الوحيد المحفوظ بين أيدي الناس اليوم بنفس اللغة التي أوحى بها اللغة العربية محفوظا بحفظ الله كلمة كلمة وحرفا حرفا علي مدي أربعة عشر قرنا أو يزيد وإلي أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، في الوقت الذي تعرضت فيه كل صور الوحي السابقة إما للضياع التام، أو للنقل إلي

لغات غير لغة الوحي مع ضياع الأصول، وتعرضها خلال ذلك النقل إلي قدر من التحريف الذي أخرجها عن إطارها الرباني، وجعلها عاجزة عجزا كاملا عن هداية البشرية، وأوقعتهم في أحوال الشرك بالله أو الكفر به.

هذا، وقد بلغت الآيات التي تضمنت الإخبار بأحداث الغيب البعيد في سورة الأنعام خمسا وعشرين آية، والقضايا التي تحدثت عنها تلك الآيات كانت قد وقعت بالفعل، ولكنها اعتبرت من الغيوب لأن العرب في زمن البعثة المحمدية لم يكونوا يعرفونها لتقادم العهد بها خاصة أنهم لم يكونوا أمة تدوين؛ وورود ذكر تلك الأحداث التاريخية في القرآن الكريم بهذه الدقة البالغة التي بدأت الحفريات والبحوث الأثرية في إثبات العديد منها، مما يشهد بـ الإعجاز التاريخي لكتاب الله.

أما الغيوب المستقبلية التي لم تقع بعد، أو التي لم تكن قد وقعت قبل نزول القرآن الكريم بها فتدخل في مجال الإعجاز التنبؤي لكتاب الله. وبعض هذه الغيوب المستقبلية من الغيوب المطلقة التي لا سبيل للإنسان في الوصول إليها إلا عن طريق وحي السماء.

والهدف من إيرادها في كتاب الله هو تحذير الناس وتبشيرهم بين يدي الساعة حتى لا يفاجأوا بها دون استعداد لها. وقد جاء الحديث عن الغيوب المستقبلية في سورة الأنعام في ثلاث وأربعين آية نختار منها قول الحق تبارك وتعالى: قل هو القادر علي أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيئا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلمهم يفقهون (الأنعام:65).

وقوله تعالى:

* إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلي الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون (الأنعام:159). وهاتان الآيتان الكريمتان قد تحقق ما جاء فيهما ولا يزال يتحقق إلي يومنا هذا. والآيتان تصفان الكفار والمشركين وقت تنزل القرآن الكريم إلا أن الحكم فيهما قد تحقق دوما منذ ذلك التاريخ إلي يومنا الراهن وسوف يظل يتحقق حتى قيام الساعة.

ومن اخبار الآيات في سورة الأنعام عن الغيوب المستقبلية وصفها لمشهد احتضار الكافرين وفيه يقول الحق تبارك وتعالى: ولو تري إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون علي الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون* ولقد جئتمونا فرادي كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما حولناكم وراء ظهوركم وما نري معكم شفعاكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وصل عنكم ما كنتم تزعمون (الأنعام 93 و94).

كذلك جاءت الإشارة إلي النفخ في الصور وهو حدث غيبي مستقبلي خطير يحدد الفاصل بين الدنيا والآخرة، وفيه يقول ربنا سبحانه وتعالى: *.. وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير (الأنعام73).

وجاء الإخبار كذلك عن الحشر في أكثر من آية نختار منها قوله تعالى: * ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم

تزعمون (الأنعام:22).

وقوله عز من قائل:

* وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلي ربهم يحشرون (الأنعام:38).

وقوله سبحانه وتعالى:

* وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلي ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون (الأنعام:51)

وقوله سبحانه وتعالى:

* وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي إليه تحشرون (الأنعام:72).

وقوله سبحانه وتعالى:

* ويوم يحشرهم جميعا... (الأنعام:128)
وكذلك جاء الإخبار عن الوعد والوعيد في احدي عشرة آية نختار منها قوله تعالى:
* والذين كذبوا بآياتنا بمسهم العذاب بما كانوا يفسقون (الأنعام:49)

وقوله (عز من قائل):

* لكل نبا مستقر وسوف تعلمون (الأنعام:67).

وجاء ذكر يوم القيامة في أربعة عشر موضعا نختار منها قول ربنا تبارك وتعالى: قل لمن مافي السماوات والأرض قل لله كتب علي نفسه الرحمة ليجمعنكم إلي يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون (الأنعام:12).

وجاء ذكر مصائر المكلفين من الخلق الإنس والجن وأحوالهم في الآخرة في إثنتي عشرة آية من آيات سورة الأنعام نختار منها قوله تعالى: ولو تري إذ وقفوا علي النار فقالوا باليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين* بل بدأ لهم ماكانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون (الأنعام:27,28).

وكان الهدف المقصود من الإخبار بغيب الماضي البعيد، وبالغيب المستقبلي الأبعد هو تفصيل قضية العقيدة الإسلامية القائمة علي الوهية الخالق سبحانه وتعالى وتوحيده التوحيد المطلق فوق جميع خلقه، وتنزيهه عن كل وصف لايليق بجلاله من مثل الشبيه أو الشريك، أو المنازع، أو الصاحبة، أو الولد، والقائمة كذلك علي عبودية المخلوقين جميعهم لله، والرد علي كل من الكافرين والمشركين والمتشككين وتفنيد مزاعمهم، والدعوة إلي الدين الصحيح الذي لايرتضي ربنا تبارك وتعالى من عباده دينا سواه ألا وهو الإسلام أنزله الله تعالى علي فترة من الرسل وأتمه وأكمله في بعثة النبي الخاتم والرسول الخاتم صلي الله عليه وسلم.

وبالإضافة إلي ذلك تناولت الآيات في سورة الأنعام أخبارا عن رسول الله صلي الله عليه وسلم، وعن الذين آمنوا به وبرسالته، كما تحدثت الآيات عن كل من المشركين وزعمائهم، وعن أهل الكتاب في زمن الوحي وإلي قيام الساعة.

وجاء ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من حق في أكثر من ستين آية نختار منها قول الحق تبارك وتعالى علي لسان خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم:
قل إنني علي بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ماتستعجلون به إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين* قل لو أن عندي ماتستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين (الأنعام:57,58).

كذلك جاءت الإشارة إلي المؤمنين في خمس آيات من سورة الأنعام نختار منها قول ربنا تبارك وتعالى:
* وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولننذر أم القري ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم علي صلاتهم يحافظون (الأنعام:92).

وبالمقابل جاءت الإشارة إلي المشركين وإلي معتقداتهم الفاسدة، وطرائق تفكيرهم الملتوية في العديد من الآيات نختار منها قوله تعالى:
* والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله علي صراط مستقيم (الأنعام:39).

وفي سورة الأنعام جاءت الإشارة كذلك إلي مكر أكابر المجرمين لكي يتمكن المؤمنون من أخذ الحذر منهم وذلك في آيتين كريمتين يقول فيهما ربنا تبارك وتعالى:
* وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها ومايمكرون إلا بأنفسهم ومايشعرون* وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتي نؤتي مثل ما أوتي رسل الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله، وعذاب شديد بما كانوا يمكرون (الأنعام:123,124).

وفي هذه السورة المباركة جاء الخطاب إلي أهل الكتاب واضحا بينا قاطعا بحكم الله فيهم وذلك في خمس آيات كريمات نختار منها قول الحق تبارك وتعالى:
* قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أننكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون* الذين أتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون* ومن أظلم ممن افترى علي الله كذبا أو كذب بآياته إنه لايفلح الظالمون (الأنعام:19,21).

وقوله عز من قائل:



* أفعير الله أبتعي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين * وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم (الأنعام: 114 و 115).
وقرب ختامها أكدت سورة الأنعام ضرورة تأسيس الأحكام علي العلم لا علي الظن والتخمين، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى:

*... قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون
(الأنعام: 148).

هذا وقد سبق لنا (في أكثر من مقال) تلخيص كل من ركائز العقيدة الإسلامية، وقواعد التشريع الإسلامي، والآيات الكونية التي جاءت في سورة الأنعام، ولا أرى حاجة إلي إعادة ذلك مرة أخرى.
وفي المقال السابق مباشرة تناولت النصف الأول من الآية رقم (99) في سورة الأنعام، وأستكمل هنا مناقشة بقية هذه الآية الكريمة التي يقول فيها ربنا (تبارك وتعالى):

.. ومن النخل من طلعتها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلي ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون. (الأنعام: 99).
وقبل الوصول إلي ذلك لابد من استعراض سريع لأقوال عدد من المفسرين القدامي والمعاصرين في شرح دلالة هذا النص القرآني الكريم.

من أقوال المفسرين:

في تفسير هذا النص القرآني الذي يمثل النصف الأخير من الآية رقم (99) من سورة الأنعام.
* ذكر الطبري (رحمه الله) ما مختصره: (قنوان): جمع قنو وهي: العذوق (دانية) متهدلة قصار قريبة من الأرض. (مشتبها وغير متشابه) ما يشابه ورقه، ويختلف ثمره وطعمه، (وينعه) نضجه وانتهاءه.

* وذكر ابن كثير (عليه رحمة الله) ما مختصره: (ومن النخل من طلعتها قنوان) أي جمع قنو وهي عذوق الرطب، (دانية) أي قريبة من المتناول، كما قال ابن عباس (قنوان دانية) يعني بالقنوان الدانية قصار النخل اللاصقة عذوقها بالأرض رواه ابن جرير.

وقوله تعالى: (وجنات من أعناب) أي ونخرج منه جنات من أعناب، وهذان النوعان هما أشرف الثمار عند أهل الحجاز، وربما كانا خيار الثمار في الدنيا..
وقوله تعالى: (والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه)، قال قتادة وغيره: متشابه في الورق والشكل قريب بعضه من بعض، ومتخالف في الثمار شكلا وطعما وطبعاً، (انظروا إلي ثمره إذا أثمر وينعه) أي نضجه، ولهذا قال ها هنا: (إن في ذلكم) أيها الناس (آيات) أي دلالات علي كمال قدرة خالق هذه الأشياء وحكمته ورحمته (لقوم يؤمنون) أي يصدقون به ويتبعون رسله.

* وجاء في تفسير الجلالين (رحم الله كاتبه) ما مختصره: (ومن النخل) خبر، ويبدل منه: (من طلعتها) أول ما يخرج منها، والمبتدأ (قنوان) عراجين (دانية) قريب بعضها من بعض (و) أخرجنا به (جنات) بساتين (من أعناب والزيتون والرمان مشتبها) ورقهما، حال (وغير متشابه) ثمرهما (انظروا) يامخاطبين

نظر اعتبار (إلى ثمره) بفتح الثاء والميم وبضمهما, وهو جمع ثمرة.. (إذا أثمر) أول ما يبدو كيف هو (و إلى) ينعه) نضجه إذا أدرك كيف يعود (إن في ذلكم لآيات) دلالات على قدرته تعالى على البعث وغيره (لقوم يؤمنون) خصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها في الايمان بخلاف الكافرين.

* وذكر صاحب الظلال (رحمه الله تعالى برحمته الواسعة) ما نصه:.. (ومن النخل من طلعتها قنوان دانية) وقنوان جمع قنو وهو الفرع الصغير, وفي النخلة هو العذق الذي يحمل الثمر, ولقطة (قنوان) ووصفها (دانية) يشتركان في إلقاء ظل لطيف أليف. وظل المشهد كله ظل وديع حبيب.. (وجنات من أعناب).. (و الزيتون والرمان). هذا النبات كله بفصائله وسلالاته - (مشتبها وغير متشابه) - (انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه).. انظروا بالحس البصير, والقلب اليقظ.. انظروا إليه في ازدهاره, وازدهائه, عند كمال نضجه, انظروا إليه واستمتعوا بجماله. لا يقول هنا, كلوا من ثمرة إذا أثمر, ولكن يقول: (انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه) لأن المجال هنا مجال جمال ومتاع, كما أنه مجال تدبر في آيات الله, وبدائع صنعته في مجالي الحياة. (إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون).. فالإيمان هو الذي يفتح القلب, وينير البصيرة, وينبه أجهزة الاستقبال والاستجابة في الفطرة, ويصل الكائن الإنساني بالوجود, ويدعو الوجدان إلى الايمان بالله خالق الجميع.. وإلا فإن هناك قلوبا مغلقة, وبصائر مملووسة, وفطرا منتكسة, تمر بهذا الابداع كله, وبهذه الآيات كلها, فلا تحس بها ولا تستجيب (إنما يستجيب الذين يسمعون), وإنما يدرك هذه الآيات الذين يؤمنون.

* وجاء في صفوة البيان لمعاني القرآن (رحم الله كاتبه) مانصه:.. (ومن النخل من طلعتها قنوان دانية) ومن طلع النخل قنوان دانية, والطلع: أول ما يبدو ويخرج من ثمر النخل كالكيوان, وقشره يسمى الكفري, وما في داخله يسمى الاغريض لبياضه, والقنوان: العراحين, جمع قنو وهو العذق, وهو للتمر بمنزلة العنقود للعنب, و(دانية) أي متدلية, أو قريبة من يد المتناول. (وجنات من أعناب) عطف على (نبات), أي وأخرجنا به جنات كائنة من أعناب (مشتبها وغير متشابه) أي بعضه متشابه, وبعضه غير متشابه في الهيئة واللون والطعم وغير ذلك, مما يدل على كمال قدرة الصانع.. (وينعه) أي وانظروا إلى حال نضجه وادراكه نظر استدلال واستبصار, كيف يعود شيئا قويا بعد الضعف, جامعا لمنافع شتى. مصدر ينعت الثمرة كأينعت, تينع (بفتح النون وكسرهما) ينعا وينوعا, إذا نضجت.

* وذكر أصحاب المنتخب في تفسير القرآن الكريم (جراهم الله خيرا) ما نصه:.. (ومن طلع النخل عراحين نخرجها محملة بالثمار سهلة التناول, وأخرجنا كذلك بالماء جنات من الأعناب والزيتون والرمان, ومنها ما هو متمائل الثمر في الشكل وغير متمائل في الطعم والرائحة ونوع الفائدة. انظروا في تدبر واعتبار إلى ثمره حين يثمر, وإلى نضجه كيف تم بعد أطوار مختلفة إن في ذلك لدلائل لقوم ينشدون الحق ويؤمنون به ويدعون له.

وجاء في تعليق الخبراء بالهامش ما نصه:.. وفي آخر الآية الكريمة قوله تعالى: (انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه), وفي هذه الإشارة سبق لعلم النبات الحديث في ما وصل إليه من الاعتماد في دراسته على مشاهدة الشكل الخارجي لأعضائه كافة في أدواره المختلفة.

من الدلالات العلمية لهذا النص القرآني الكريم

يقول الحق (تبارك وتعالى) في محكم كتابه: وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن

النخل من طلوعها فنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهها وغير متشابه انظروا إلى ثمرة إذا أثمر وينعه إن في ذلكم آيات لقوم يؤمنون (الأنعام:99).
والتسلسل في استعراض الحبوب والثمار في هذه الآية الكريمة يشمل معظم النباتات التي يحتاجها الانسان في طعامه الأساسي، وتحتاجها أعمامه في علفها.

فالحب المترابك: يشمل القمح، والشعير، والذرة، والأرز، والشوفان، وغيرها من محاصيل الحبوب والغلل التي تمثل الطعام الأساسي لكل من الانسان والحيوان. وهذه النباتات تجمع اليوم في رتبة واحدة تعرف باسم النجيليات، وفي عائلة محددة منها تعرف باسم العائلة النجيلية.
والنجيليات تضم أعشابا حولية أو معمرة لها شكل مميز يطلق عليه الشكل النجيلي أي الذي يشبه النجيل، وإن ضمت قليلا من الشجيرات، وأزهارها تلتفج بواسطة الرياح. وسيقانها غالبا اسطوانية، جوفاء، فيما عدا القليل منها مثل الذرة الذي يتميز بساق أصم.

ويضم القمح عددا من الأصناف المميزة منها البلدي، والهندي، الذكر، وكذلك يوجد من الشعير أصناف عديدة منها البلدي، والنبوي، والتونسي، ويوجد من الذرة البلدي، والبدري، والسبعيني، والأمريكي، والصواني، والسكري، والتمبلور وغيرها، ومن الأرز المزروع يوجد حوالي 18 نوعا كلها من النباتات البرية، ومن نوع الارز المزروع يوجد حوالي الألف صنف منها الأرز الياباني، والسلطاني، والشعبي، والفينو وغيرها.
ويحل الأرز محل القمح في كثير من الأقاليم الحارة، ويعتبر غذاء لا غنى عنه لأكثر من نصف سكان الأرض.

وينطوي في العائلة النجيلية أكثر من (450) جنسا من أجناس النباتات النجيلية، وأكثر من (4500) نوع من أنواعها، وعشرات الآلاف من الأصناف، ولذلك تعتبر من أهم عائلات النبات من الوجهة الاقتصادية لاحتوائها على النباتات المنتجة لمحاصيل الغلال ذات الحبوب المترابكة (في السنابل)، وعلى غيرها من المحاصيل الاقتصادية مثل قصب السكر، والغاب، والأعشاب الطبية، وحشائش الرعي.

والحبوب المترابكة في العائلة النجيلية هي من ذوات الفلقة الواحدة، وكما خلق الله (تعالى) تلك الحبوب التي تمثل المحاصيل الأساسية لغذاء مختلف شعوب الأرض، خلق لنا حبوبا أخرى غير مترابكة ذات فلقتين توجد ثمارها في قرون بدلا من السنابل ولذا توضع في عائلة من عائلات النبات تعرف باسم العائلة القرنية تضم حوالي (600) جنس و(12 ألف نوع) ومئات الآلاف من الأصناف، ومن أهم محاصيلها الفول، الحمص، العدس، الفاصوليا، اللوبيا، البازلاء، فول الصويا، الفول السوداني، الترمس، الحلبة، والبرسيم.

وتعتبر نباتات العائلة القرنية من أهم النباتات الاقتصادية كذلك، وذلك لغناء بذورها بالكربوهيدرات (مثل النشا)، والبروتينات (مثل الزيوت والدهون النباتية).

وتلي رتبة النجيليات مباشرة في تقسيمات النبات رتبة النجيليات التي تشمل عائلة واحدة هي عائلة النجيليات، وتضم أشجارا نخيلية، غير متفرعة 0 فيما عدا نخيل الدوم الذي تتفرع فيه النخلة إلى فرعين). وتتميز النخيل عامة بأنها اشجار دائمة الخضرة، وبأن لها سيقانا اسطوانية الشكل، ذات سلميات

طويلة، ومغطاة بقواعد الأوراق، ولها جذور ليفية.

وتضم (العائلة النخيلية) أكثر من (200) جنس، وما يزيد علي(4000) نوع من أشجار النخيل وشجيرات، ويضم نخيل التمر وحده حوالي(15) نوعا وأكثر من ألف صنف، ولذلك جاء ذكر النخل في القرآن الكريم عشرين مرة. ومن نماذج العائلة النخيلية: نخيل التمر، نخيل جوز الهند، نخيل الزيت، ونخيل الخيزران، ونخيل الأريكا، والنخيل الملوكي، وأهمها علي الإطلاق نخيل التمر، لأن التمر يعد غذاء كاملا تقريبا للإنسان وذلك لاحتوائه علي الكربوهيدرات (السكريات والنشا) والبروتينات (الدهون) والفيتامينات وعلي العديد من الأملاح المعدنية الهامة.

ويلي ذلك في تصنيف النباتات رتبة العنابيات وتضم عائلتين هما العائلة العنابية (وتضم 45 جنسا، 550 نوعا ومن أمثلتها العناب، والنبق) والعائلة العنابية) وتضم 11 جنسا، 600 نوعا تنتشر انتشارا واسعا في الأرض وأهمها العنب) وتتميز هذه العائلة ببنائاتها المتسلقة، وبراعمها الطرفية المحورة إلي محاليق، وجاء ذكر العنب والأعناب في القرآن الكريم احدي عشرة مرة لأهميتها الغذائية العالية.

ويلي ذلك في تصنيف النباتات رتبة الملثفات وتشمل ست عائلات أهمها العائلة الزيتونية وتشمل 22 جنسا، 500 نوع من الأشجار والشجيرات وبعض المتسلقات أهمها اشجار الزيتون، و هي أشجار معمرة تعيش الواحدة منها إلي أكثر من ألفي سنة، وقد ثبت علميا أن زيت الزيتون يحتوي علي أحماض دسمة غير مشبعة، وهي مفيدة في الوقاية من العديد من الأمراض مثل جلطات الدم التي تتسبب في حدوث أمراض الشرايين الاكليلية في القلب، كذلك ثبت علميا أن بزيت الزيتون أكثر من ألف مركب كيميائي منها ما يعدل الكولسترول في أثناء استقلابه في الجسم، ومنها ماينقص مستوي الكولسترول الضار ويرفع مستوي الكولسترول المفيد، ويشكل زيت الزيتون حوالي 70% من تركيب الثمرة، ويتكون زيت الزيتون من الجليسريدات والأحماض، بالإضافة إلي ذلك فإن زيت الزيتون يحتوي علي البروتينات، والدهون، وعلي نسب متفاوتة من عناصر البوتاسيوم، والكالسيوم، والمغنيسيوم، والفوسفور، والحديد، والنحاس، والكبريت، وغيرها.

ويعطي تناول(100) جرام من الزيتون حوالي(103) من السعرات الحرارية ولذلك امتدح خاتم الأنبياء والمرسلين (صلي الله عليه وسلم) كلا من الزيتون وزيته، فقال: ائتموا بالزيت وادهنوا به، فإنه يخرج من شجرة مباركة أخرجه كل من ابن ماجه، وعبد الرزاق، والحاكم وغيرهم وورد في صحيح الجامع (الصغير).

ووصف ابن عباس (رضي الله عنهما) الزيتون بقوله: في الزيتونة منافع، يسرج الزيت، وهو إدام ودهان ودباغ، ووقود يوقد بحطبه وتقله، وليس فيه شيء إلا وفيه منفعة، حتي الرماد يغسل به الأبريسم (وهو الحريس)...

وقد أفردت شجرة الزيتون بالذكر في القرآن الكريم سبع مرات لعظيم منافعها، ولقلة ما تحتاجه من رعاية وعناية من الزراعة. ويلي ذلك في تصنيف النباتات رتبة تعرف باسم رتبة المرسينيات تشمل(33) عائلة أهمها العائلة الرمانية التي تشمل أشجارا صغيرة (شجيرات) تضم جنسا واحدا هو الرمان وله نوعان هما الرمان الأولي PunicaProtoponica، والرمان الجرائني PunicaGranatum.

وقد جاء ذكر الرمان في القرآن الكريم ثلاث مرات إشارة إلى أهميته في غذاء الانسان، منها مرتان في سورة الأنعام، والثالثة في سورة الرحمن. وثمره الرمان قد يصل قطرها إلى 18 سم ويصل وزنها إلى 600 جرام، تحتوي على 400-500 بذرة، وتحاط البذرة بطبقة خارجية (الطبقة الخارجية من القصرة) وهي التي تؤكل لاحتوائها على عصير حلو المذاق يتكون من 85% ماء مذابا فيه نسبة من السكريات، وكميات زهيدة من الدسم، والفيتامينات من مثل فيتامين ج، والأحماض من مثل حمض الليمون والبوريك، بالإضافة إلى آثار من عناصر البوتاسيوم، الكلور، الكالسيوم، المغنيسيوم، الفوسفور، الحديد، النحاس، الكبريت. وعصير الرمان له خواص هاضمة بالنسبة للدهون على وجه الخصوص، وقشر الرمان له خاصية قابضة، قاتلة لديدان الأمعاء، ومعينة على امتصاص الحديد وغيره من العناصر وله قدرة هائلة على معالجة قروح الاضطجاع التي تحدث عند قعيدي الفراش.

وهكذا نرى أنه في كلمات محددة جاء هذا التسلسل المعجز من الحب المتراكب إلى ثمار كل من النخل والأعناب والزيتون والرمان ليجمع كل أنواع الغذاء الأساسي للانسان ولأنعامه، وذلك لأن باقي النباتات الراقية المعروفة لنا إما تنتج فاكهة وخضراوات من كماليات الطعام، أو هي نباتات الزينة، أو الظل، أو الأخشاب، أو الأعشاب وهي - على أهميتها - ليست من الضروريات الملحة لحياة الانسان وأنعامه. ويأتي الوصف القرآني لتلك النباتات بالتعبير المعجز مشتبه وغير متشابه ليعبر عن حقيقة التنوع الهائل الذي وهبه الله (تعالى) لتلك النباتات، حيث ينقسم كل جنس من أجناسها إلى العديد من الأنواع، وتنقسم الأنواع إلى العديد من الأصناف، ويضم كل صنف من هذه الأصناف بلايين البلايين من الأفراد التي تكاثرت ولا تزال تتكاثر وسوف تظل كذلك إلى أن يرث الله (تعالى) الأرض ومن عليها. وأفراد كل نوع من أنواع النبات تبدو في ظاهرها متشابهة، ولكن بدراستها المتخصصة يتضح ما بينها من الفرق بما يستوجب فضلها عن بعضها البعض، وهنا تتضح روعة التعبير القرآني (مشتبه وغير متشابه).

ويأتي بعد ذلك تنبيه من الله الخالق بالنظر إلى ثمار النباتات وقت إثمارها وحين نضجها (انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه)، وفي هذا النص سبق علمي أصيل يشير إلى ضرورة الاعتماد على مشاهدة الشكل الخارجي لمختلف أجزاء النبات في جميع أطوار نموه حتى يمكن التعرف عليه وتصنيفه، وهي من القواعد الأساسية اليوم في علم النبات، وفي النص أيضا إشارة إلى فضل الله العظيم في إنتاج تلك الثمار وإلى أهميتها لحياة النبات نفسه ولحياة كل من الانسان والحيوان أكل العشب. وذلك لأن الثمرة الحقيقية هي مبيض الزهرة بعد تمام إخصابه بحبوب اللقاح وتكون الجنين الذي يحاط بأغلفة نباتية من المواد الغذائية لحمايته قبل الإنبات، ولتغذيته في مراحل الإنبات الأولى حتى تورق النبتة الأوراق الخضراء القادرة على القيام بعملية التمثيل الضوئي وإعداد الغذاء الخاص للنبات. وعلى ذلك فالثمار مهمة لجميع النباتات العليا لاحتوائها على البذور التي بها يمكن للنبات أن يستمر في الوجود والتكاثر على الأرض إلى أن يشاء الله (تعالى). والثمار مهمة للانسان لأنها تمثل غذاءه الرئيسي وعلف أنعامه، كما تمثل مصدرا أساسيا من مصادر الدواء، والكساء ومواد الصباغة، وغيرها من

الصناعات الأساسية في حياة الناس.

وثمار النباتات من أجل نعم الله على الانسان, وتحركها من بدء ظهورها على النبات إلى نضجها, وما يعترها خلال تلك الفترة من نمو في الحجم, واختلاف في اللون, وتدرج في الطعم والمذاق بما يشهد لله الخالق بطلاقة القدرة على الخلق والافناء والبعث, ولذلك ختمت الآية الكريمة بقول الحق (تبارك وتعالى): إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون.

هذا السبق القرآني يعرض قدرا من حقائق عالم النبات قبل أن يصل إليها علم الانسان بقرون متطاولة بما يشهد للقرآن الكريم أنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله ليكون للعالمين نذيرا, فصلي الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين, والحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا على نعمة الإسلام, وعلى نعمة القرآن وعلى نعمة الثمار وغيرها من الأرزاق.